الحقائق الجلية
في شرح
نظم الخريدة البهية

شرح
شفاء بنت محمد حسن هيتو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق في كل موجود دليلا على وجوب وجوده، وآيات على تفرد أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي افتقرت له الأرض والسماوات، و ذلت لعظمته البحار والجبال الراسيات، أحمده حمد المتفقر إليه، الطالب دوام ستره ونعمته عليه، وأصلي وأسلم على مخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم، ومن أوهام الباطل، إلى يقين الحق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه.

وبعد:

فإن هذه المنظومة (الخريدة البهية) قد حوت اعتقاد أهل السنة والجماعة على طريقة إمامهم أبي الحسن الأشعري -رحمه الله-، بكلمات قليلة، وعبارات بليغة، فكانت من خير الكتب للطالب المبتدئ في هذا العلم.

ولما كانت الشروح عليها لا تناسب المبتدئ؛ لطول ممل، أو اختصار مخل، في زمان بعد فيه الناس عن العلوم الشرعية، وانغلقت عليهم عباراته، رأيت أن أضع عليها شرحا للمبتدئين، أوضح فيه معانيها، وأبين قواعد مذهب أهل السنة والجماعة، بعبارات قريبة سهلة، متكلة بذلك على توفيق الله تعالى، ومستعينة بما استقيته من كتب أئمتنا - رضوان الله عليهم -، ودروس مشايخ أهل السنة والجماعة في زماننا وكتبهم -حفظهم الله تعالى-.

والله أسأل أن ينير بها بصائر أناس قد عموا عن الحق، ويهدي بها أناسا قد فارقوا جماعة المسلمين، فضلوا في عقائدهم و أضلوا، وأن يتقبلها مني ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

يقول راجي رحمة القديرِ أي أحمد المشهور بالدردير

مؤلف هذه المنظومة هو: الإمام العلامة أحمد بن محمد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي، المعروف بالدردير.

ولد سنة ١١٢٧هـ وأمضى حياته في طلب العلم وبذله، وصنف في علوم شتى من علوم الشريعة، وتلقى الناس كتبه بالقبول، فمن تآليفه في الفقه: ((شرح مختصر خليل))، و ((أقرب المسالك إلى مذهب مالك)) وصارت كتبه من الكتب المعتمد في المذهب المالكي، لكونه ذكر فيها الراجح في المذهب.

و في العقيدة: ((الخريدة البهية))، وشرحها.

و في التصوف: ((تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان)).[1]

وغيرها كثير، وتوفي سنة ١٢٠١ـــهـ

الحمد لله العليِّ الواحدِ العالِمِ الفرْدِ الغنيِّ الماجدِ

وأفضل الصلاة والتسليمِ على النبي المصطفى الكريم

وآله وصَحْبِهِ الأَطْهارِ لا سِيَّمَا رفيقُهُ في الغارِ

[1] - وهكذا كن أئمتنا رضوان الله عليهم يجمعون بين العلوم الثلاث، ثمرة باقي العلوم: العقيدة، والفقه، والتصوف.

وهذه عقيدة سنية سميتها الخريدة البهية
لطيفة صغيرة في الحجمِ لكنها كبيرة في العلم
تكفيك علما إن ترد أن تكتفيَ لأنها بزبدة الفن تفي
واللهَ أرجو في قبول العمل والنفع منها ثم غفر الزلل

الخريدة البهية هي: اللؤلؤة التي لم تثقب.

وزبدة الشيء، هي خلاصته.

أول ما بدأ به الناظم –رحمه الله- ذكر الحكم العقلي، ولا بدَّ من تقديم مقدمة في أسباب العلم وطرقه الصحيحة، وذلك لأن إثبات الأحكام ونفيها لا بدَّ أن يكون تابعا لطرق معرفية صحيحة معتبرة:

بين الله تعالى في كتابه العزيز أصول هذا المطلب في الآيات الكريمة الواردة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل.

فالإنسان يولد خاليَ الذهن من المعلومات، ثم يبدأ بتلقي المعلومات عن طريق الحواس الخمس التي خلقها له الله تعالى، وهي السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق، وهذه الحواس بريد بين الإنسان والعالم الخارجي، فلولاها لما استطاع الإنسان أن يحس بما حوله، أو يعقله.

وهذه الحواس لا تحكم بشيء، وإنما تنقل فقط المعلومات للقلب والعقل، وهما اللذان يدركان و يحكمان، فهي واسطة الإدراك، وقد يقول بعض العلماء إن الإدراك يكون بها نفسها.

ثم إن كان الإدراك لشيء مفرد مجرد عن أي نسبة لشيء آخر، فهذا الإدراك يسمى تصورا.

وذلك كإدراك مفهوم الإنسان دون نسبته أو الحكم عليه بأي شيء، و إدراك الحركة دون نسبتها أو الحكم عليها بأي شيء.

فإن نُسِبَت الحركة للإنسان، أي: تُصور أن الإنسان متحرك، وأُقر بهذه النسبة، سُمي ذلك: حكما، و تصديقا.

فالحكم هو: نسبة أمر إلى أمر، أو نفيه عنه، والإذعان للنسبة هو التصديق.

وتصديقنا للأشياء وحكمنا عليها إما أن يكون على سبيل القطع، ويطلق عليه بالاصطلاح **العلم**، وهو: الإدراك الجازم المطابق للواقع، وتكون نسبته ١٠٠%.

فإن كان عن دليل قاطع سمي **يقينا**.

و قولنا الإدراك الجازم يخرج الإدراك المتردد، فإذا كان عندنا أدنى تردد في الحكم على الشيء، لم يكن حكمنا يقينيا، وإن بلغ ٩٩%.

وقولنا: المطابق للواقع، يخرج المخالف للواقع، فقول المسلم: الله واحد، يقين؛ لأنه جازم بشيء مطابق للواقع، فالله في واقع الأمر واحد.

وأما قول النصراني: الله ثالث ثلاثة، فلا يسمى يقينا؛ لأنه وإن كان جازما فيه دون تردد، إلا أنه مخالف للواقع، فالله في الواقع واحد، والإدراك الجازم المخالف للواقع لا يسمى علما، بل إيمانا واعتقادا فاسدا.

وإن كان في الإدراك تردد بين أمرين أحدهما أرجح من الآخر، فالراجح يسمى **ظنا**، ونسبته من: ٥١% إلى: ٩٩% .

والمرجوح يسمى **وهما**، ونسبته من: ١%، إلى: ٤٩%.

وذلك كأن يخبرنا إنسان واحد صادق بموت أمير البلاد، فخبره مهما كان صادقا فإنه لا يبلغ اليقين، وإنما يتفاوت بدرجات الظن.

وكلما زادت نسبة الظن، انخفضت نسبة الوهم، فإن كان ظنُ صدقِهِ يبلغ:٩٠%، كان وهمُ كذبه يبلغ:١٠%، وإن كان ظن صدقه يبلغ: ٧٥%، كان وهم كذبه يبلغ: ٢٥%.

وإن كان الإدراك مترددا بين أمرين متساويين، لا يرجح أحدهما على الآخر، كان شكا، ونسبته: ٥٠%.

وذلك كأن رأى حيوانا يمشي على أربع من بعيد، فشك بين أن يكون حصانا أو حمارا، ولم يرجح أحدهما على الآخر، فإدراكه لكون هذا الحيوان حصانا أو حمارا، شك.

ثم إن حكمنا على الأمور بأن ننسب أمرا إلى أمر أو ننفيه عنه، يكون بواسطة: ١- الوضع ويندرج تحته الشرع.

٢- أو العادة.

٣- أو العقل.

فيسمى حكما وضعيا، أو عاديا، أو عقليا، بحسب الواسطة التي أوصلتنا إلى هذا الحكم.

الحكم الوضعي:

فالحكم الوضعي، إن نظرنا إليه من حيث إنه وضعي، فهو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة الوضع.

وهو ما تواضع عليه فئة معينة من الناس، والوضع: جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث يتبادر الثاني عند تبادر الأول، وذلك كوضع اللون الأحمر في الإشارة بإزاء منع المرور، فإن رئي اللون الأحمر، تبادر إلى الذهن منع المرور.

ثم إن مشى رجل في الطريق و الإشارة حمراء، فإننا نحكم عليه بالمخالفة، وحكمنا هذا مستمد مما تواضع عليه منظمي المرور.

ومثله كل الأحكام القانونية، التي تستمد من وضع فئة من الناس، ومن ذلك عادات الشعوب التي يتعارف عليها أهل البلاد.

وإن نظرنا إليه من حيث إنه شرعي فهو: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.

وينقسم إلى إيجاب، وندب، وتحريم، وكراهة، وإباحة، والكلام فيه محله علم أصول الفقه.

الحكم العادي:

و الحكم العادي، هو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار.

وذلك كحكمنا على النار بأنها محرقة، فهذا الحكم مستمد من قوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى للكون، فهي من عادة الكون.

وتعرف بواسطة التكرار والتجربة، فالإنسان الذي لم يعرف النار في حياته، لا يمكنه أن يحكم بأن كل نار محرقة من أول مرة، بل لا بد له من أن يتكرر الأمر عنده كي يتمكن من الحكم بذلك.

وكذا لو كانت لديه قطعة زجاج رقيقة، ولم يعرف الزجاج في حياته، فأخذها ورمى بها بقوة على أرض صلدة، فانكسرت، فإنه لن يتمكن من الحكم بأن كل زجاج رقيق ينكسر بوقوعه بقوة على أرض صلدة، بل لا بد من تكرر هذا الأمر.

وينقسم الحكم العادي إلى واجب، ومستحيل، وجائز.

فطلوع الشمس من مشرقها، واجب عادي.

و إبصار الإنسان بيده، مستحيل عادي.

وولادة الحامل لستة أشهر، جائز عادي.

ويدخل في الأحكام العادية غالب علم الكيمياء، والفيزياء، ونحو ذلك من العلوم التي تخص القوانين الكونية.

و الأسباب العادية ليس لها تأثير، وإنما المؤثر فيها هو الله تعالى، فالله تعالى إن أراد لها التأثير، خلق فيها القدرة على التأثير عند وجودها.

وذلك كالدواء، فإن وجد الدواء، وأراد له الله تعالى أن يشفي، جعل فيه القدرة على الشفاء عند تناوله.

وهكذا النار إن أراد لها أن تحرق، والسحر إن أراد له أن يضر، وكل سبب عادي.

ومع هذا فإننا مكلفون بالسير على القوانين والأسباب العادية، فلا يجوز لنا أن نلقي أنفسنا في النار لأنها لا تحرق إلا بإرادة الله تعالى؛ لأننا مكلفون شرعا بالأخذ بالأسباب العادية، والسير على القوانين التي وضعها الله للكون، ومنها اجتناب النار.

ولكننا مع أخذنا بالسبب العادي نعتقد أنه إنما يحصل بإرادة الله، وخلقه.

والواجب والمستحيل العاديان يمكن أن يتخلفا خرقا للعادة، وخوارق العادات ستة: المعجزة، والإرهاص، والكرامة، والمعونة، والاستدراج، والإهانة، وسيأتي بيانها والكلام عليها في مبحث النبوات.

الحكم العقليُّ:

و الحكم العقلي هو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة العقل. أي بأن لا يتوقف العقل في حكمه على إثبات أمر أو نفيه على وضع واضع أو تكرر أو مشاهدة وتجربة.

وقد ذكره الناظم فقال:

أقسامُ حكمِ العقلِ لا محالة ... هي الوجوبُ ثم الاستحالة
ثم الجوازُ ثالث الأقسام ... فافهم منحت لذةَ الأفهام
وواجبٌ شرعاً على المكلف ... معرفةُ اللهِ العليِّ فاعرفِ
أي يعرفَ الواجب والمحالا ... مع جائزٍ في حقهِ تعالى
ومثلُ ذا في حق رسْلِ الله ... عليهِم تحيةُ الإلهِ
فالواجبُ العقليُ ما لم يقبلِ ... الإنتفا في ذاته فابتهلِ
والمستحيل كلُ ما لم يقبلِ ... في ذاته الثبوتَ ضدُ الأولِ
وكلُ أمرٍ قابلٍ للانتفا ... وللثبوت جائزٌ بلا خفا

فالواجب العقلي هو: ما لا يقبل الانتفاء لذاته، وذلك كأخذ الجسم حيزا من الفراغ، فهذا واجب عقلي، يستحيل أن ينتفي بأن يوجد جسم لا يأخذ حيزا من الفراغ؛ لأن كون الجسم ذا حيز هو أمر ذاتي له، فلا يتصور العقل جسما دون أن يكون له حيز.

وكنتائج المسائل الحسابية، فحاصل جمع واحد مع واحد يجب أن يكون اثنين، ولا يمكن انتفاء هذا الحكم، أو انخراقه بأن يساوي ثلاثة مثلا؛ لأنه غير قابل لذلك.

فالواجب العقلي نجزم بثبوته، ونقطع باستحالة انتفائه، فالجزم فيه من جهة الثبوت والانتفاء، بخلاف الحكم العادي الذي غاية ما فيه الجزم بالثبوت، ولكن ليس فيه الجزم باستحالة الانتفاء، ففرض عدمه ممكن عقلا.

والمستحيل العقلي هو: ما لا يقبل الثبوت بذاته، وذلك كاجتماع النقيضين، بأن يكون الشيء موجودا ومعدوما في الوقت نفسه، فهذا مستحيل عقلا، غير قابل لأن يوجد.

والجائز العقلي هو: ما يقبل الوجود والعدم بذاته، وذلك كوجود أي إنسان، فإن وجوده وعدمه ممكنان عقلا.

وكقدرة فاقد العين على الإبصار، فإنه وإن كان مستحيلا عادة، إلا أنه جائز عقلا.

وكطلوع الشمس من جهة المشرق، فهو واجب عادة، جائز عقلا.

وكانقلاب العصا إلى ثعبان، ووجود ولد بلا والد، ونحو ذلك من معجزات الأنبياء -صلوات ربي وسلامه عليهم- فإنها لا تخرق الأحكام العقلية؛ لأنها غير قابلة للانخراق، وإنما تخرق الأحكام العادية.

وكل من الواجب والجائز و المستحيل ينقسم إلى: **ضروري**، وهو: ما لا يحتاج إلى نظر أو استدلال، فيحكم الإنسان العاقل عليه بالوجوب، أو الجواز، أو الاستحالة بمجرد تصوره، وذلك كالحكم بأن الجسم الصغير لا يحتوي على الجسم الكبير، وأن ناتج جمع واحد و واحد يساوي اثنين.

ونظري، وهو: ما يحتاج إلى نظر واستدلال، فلا يتمكن الإنسان العاقل عادة من القطع به دون الاستدلال عليه، والتفكر فيه بالنظر والبحث في الأدلة ، وذلك كالحكم بأن الله تعالى مخالف للحوادث، ونتائج المسائل الحسابية المعقدة، ونحو ذلك.

ولما كان واجبا على الإنسان إن أراد أن يثبت لغيره أمرا معينا، أن يكون بين المُثبِت والمُثبَتِ له أمور مسلمة، يبنيان عليها كلامهما، وليس هناك من أمر مسلم بين بني آدم جميعا إلا العقل، بنى أئمتنا -رضوان الله عليهم- أدلة العقائد على الأحكام العقلية الموافقة للأدلة النقلية -إذ لا تعارض بين العقل والنقل- ؛ ليتمكنوا بذلك من محاورة أي إنسان في أي زمان ومكان.

ولم يكتفوا بالأدلة النقلية، إذ أنهم لو اكتفوا بها، فسألهم الملحد: ما الدليل على أن كل ما في الكون من خلق الله؟

فقالوا: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ الرعد.

لقال لهم: إنني لا أومن بربكم فتستدلوا علي بكلامه، فليس كلامه بحجة علي، وإنما أريد دليلا يكون مشتركا بيننا، أومن به أنا وأنتم.

فلو أقمنا عليه الدليل العقلي، للزمه التسليم به، ولن يتمكن من رفضه، إلا أن يكون معاندا.

فإن اعترض معترض وقال: فكيف نفعل بالعقائد التي لا يمكن إثباتها بغير النقل؟

قلنا: إننا بعد أن نثبت له العقائد التي يمكن الاستدلال عليها بالعقل، فإن هذه العقائد ستلزمه بالتسليم للنقل؛ لأننا سنثبت له صدق ناقل هذا الشرع، وإذا ثبت صدقه عموما، ثبت صدقه في خصوص كل خبر ينقله ، كما سيأتي بيان ذلك في نهاية هذا الكتاب، بإذن الله.

وبهذا يظهر معنا أن علم الكلام ينقسم إلى قسمين:

قسم لا يمكن الاستدلال عليه إلا بواسطة النقل، وتسمى: (العقائد السمعية)، وذلك كاليوم الآخر، والجنة، والنار، ونحو ذلك من الأمور التي لا يتمكن العقل المجرد من القطع بها، ولا يتوقف إيماننا بالله تعالى عليها، فلا نحتاج للإيمان بها قبل إيماننا بوجود الله تعالى.

وقسم لا يمكن الاستدلال عليه بالنقل، وذلك كوجود الله تعالى، وقدرته وعلمه، لتوقف إيماننا بالأدلة السمعية على الإيمان به، فلا يمكن أن يؤمن الإنسان بالقرآن قبل إيمانه بوجود الله تعالى منزل القرآن، فلا يمكن أن نستدل على الكافر بوجود الله تعالى بالقرآن.

ومن فوائد الاستدلال بالدليل العقلي في العقائد، أنه بمجرد ثبوت الدين الحق فيه، يثبت به بطلان ما سواه من الأديان؛ لأن النتيجة العقلية لا تتعدد، فيستحيل أن يكون ناتج ضرب خمسة في خمسة، خمسة وعشرين، وستة وعشرين، بل لا بد من أن يكون أحد الناتجين باطل، والآخر حق.

فإذا ثبت أن الله واحد، فيستحيل أن يكون ثلاثة، فيظهر بذلك بطلان اعتقاد النصارى.

ولذا فإن أئمتنا -رضوان الله عليهم- اهتموا بالأدلة العقلية اهتماما كبيرا؛ ليتمكنوا بذلك من مناقشة جميع الملل، وإبطالها، وكتبوا في ذلك الكتب الموسعة، والمختصرة، وأتوا في كل كتاب بما يناسبه من الدليل.

فالاستدلال العقلي للعامة يكون بأسلوب عامي، وللمبتدئ بأسلوب واضح، ولا تذكر له الخلافات، ثم لطالب العلم المتوسع بأدلة متوسعة، و ذكر الخلاف فيها، ومناقشتها، ونحو ذلك من أمور تجعل من طالب العلم المُجِد جبلا راسخا في اعتقاده، يُبطل العقائد المنحرفة بثقة دون أن يتأثر، أو يتزعزع بعقيدته.

وقد ذكر الناظم -رحمه الله- حكم تعلم العقائد بقوله في الأبيات التي مر ذكرها:

وواجب شرعا على المكلف	معرفة الله العليِّ فاعرفِ
أي يعرف الواجب والمحالا	مع جائز في حقه تعالى
ومثلَ ذا في حق رسْلِ الله	عليهم تحية الإلهِ

المكلف هو: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة.

فقد أوجب الشرع عليه أن يعرف ما يجب في حق الله تعالى، كوجوب بقائه، ومخالفته لخلقه، ونحو ذلك، وما يستحيل عليه، كاستحالة أن يكون له ولد، أو شرك، أو نحو ذلك، وما يجوز في حقه، كجواز خلقه، ورزقه، ونحو ذلك، ومعرفته لذلك بأن يذعن له بالإيمان به.

ولا يجب على المكلف معرفة حقيقة ذات الله تعالى؛ لأن هذا غير ممكن كما هو المعتمد عند محققي العلماء، بل الواجب عليه أن يعرف صفاته وأحكامها دون معرفة حقيقتها كذلك؛ لأنه كما يستحيل معرفة الذات، فكذا يستحيل معرفة الصفات.

ولذا فإن الله لم يأمرنا في القرآن بالتفكر في ذاته، بل أمرنا بالتفكر في أفعاله التي تدل على صفاته.

ويجب على المكلف كذلك أن يؤمن بالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، و يعرف ما يجب لهم من صفات، وما يستحيل عليهم، وما يجوز.

والإيمان بالله تعالى ورسله -صلواته وسلامه عليهم- من قبل المكلف لا بد أن يكون على سبيل القطع، فلو تردد به، بأن نزل عن درجة العلم، و صار ظنا، لم يصح إيمانه، وكان كافرا.

ولذا فإنهم اختلفوا في حكم المقلد، وهو من آمن تبعا لقومه، دون أن يكون له أدنى دليل على صحة إيمانه، هل يقبل إيمانه أم لا؟

والمعتمد أنه إن كان جازما بصحة إيمانه، قُبل منه، لكنه يكون عاصيا بتركه لتحصيل الدليل إن كان قادرا على ذلك؛ لأنه معرض نفسه للفتن، بضعف إيمانه لكونه لم يبنه على دليل، فهو يتردد لأدنى شبهة.

وأما إن كان مترددا في اعتقاده، فإنه يكون كافرا بلا خلاف.

ثم اعلمنْ بأنَّ هذا العالما	**أي ما سوى الله العليِّ العالِما**
من غير شكٍّ حادثٌ مُفْتَقِرُ	**لأنه قامَ بهِ التغيرُ**

حدوثه وجودُه بـعـد الـعدمْ وضـدُّه هـو المسمَّى بالقِـدَمْ

الموجود إما أن يكون قديما، وهو: ما ليس لوجوده بداية.
أوحادثا، وهو: ما وجد بعد أن لم يكن.
فالعَالَم إما أن يكون قديما أو حادثا.
والمراد بالعالم إذا أطلق في كتب الكلام: كل ما سوى الله تعالى، من الأفلاك، والملائكة، والجنة، والنار، والعرش، والإنس، والجن، وغير ذلك.
ونحن نقول بحدوثه، ونستدل على ذلك بأن هذا العالم ينقسم إلى قسمين:
جواهر، وهي: ما تقوم بنفسها.
وأعراض وهي: ما تقوم بغيرها.
فالكأس جوهر، وانكساره عرض، فنحن لا نرى انكسارا قائما بذاته، وإنما نرى كأسا منكسرا.
والجسم جوهر، و طوله عرض، فلا يوجد طول قائم بذاته، وإنما يوجد جسم طويل.
والحركة والسكون كل منهما عرض، فلا يوجد حركة قائمة بذاتها، وإنما يوجد جسم متحرك أو ساكن.[1]
والأعراض حادثة، فنحن نرى الجسم تحرك بعد أن كان ساكنا، فالحركة حدثت فيه، والإنسان غضب بعد أن كان هادئا، فالغضب حدث فيه، ونحو ذلك.
فإن سلمنا بحدوث الأعراض، انتقلنا إلى الكلام على الجوهر، فنقول:
الجوهر ملازم للعرض، فلا يوجد جوهر بلا عرض؛ لأن الجوهر إما أن يكون ساكنا، أو متحركا، وكل من السكون الحركة عرض حادث.
فإذا سلمنا أن الجوهر ملازم للعرض، وأن العرض حادث، لزمنا أن نسلم بحدوث الجوهر.
وبيان ذلك أنه لا وجود للجوهر بلا عرض، فأول عرض طرأ على هذا الجوهر حادث، فالجوهر لا بد أن يكون قد حدث معه؛ لأنه لا يمكن أن يكون الجوهر موجودا قبله، عاريا عن العرض.
فنتج معنا أن الجواهر والأعراض حادثة، فالعالم كله حادث.
وإذا كان حادثا فوجوده جائز عقلا؛ ليس بواجب؛ لأنه لو كان واجبا لما أمكن أن يكون منعدما في زمن ما؛ فالواجب العقلي كما قدمنا لا يقبل الانتفاء، وهو قد كان منعدما قبل أن يوجد، فحدوثه دليل على جوازه.
ومادام جائزا فوجوده وعدمه متساويان، يستحيل أن يرجح أحدهما على الآخر بلا مرجح خارجي.

[1] - وأنواع الأعراض وتفصيل الكلام فيها يذكر في الكتب المطولة.

لأن الشيء إما أن يكون متساويا في ذاته مع غيره، أو راجحا في ذاته عليه، ولا يمكن أن يكون متساويا وراجحا في نفس الوقت؛ لأن الرجحان والمساواة في الذات ضدان، والضدان يستحيل عقلا اجتماعهما.

فإن أردنا أن نرجح أحدهما على الآخر فلا بد من وجود أمر خارج عن ذاتهما يرجحه.

ولما رأينا أن العالم قد وجد مع مساواة وجوده لعدمه، وجب علينا أن نثبت وجود من رجح وجود العالم على عدمه، وهو الله تعالى.

فنحن بذلك نكون قد أثبتنا الوجوب العقلي على وجود الله تعالى دون إثبات أي صفة أخرى له، ودون أن نتطرق لوجوده هل هو واجب في ذاته أم جائز، فإن سلمنا بالوجود انتقلنا للكلام على صفات هذا الموجود.

فاعلم بأن الوصف بالوجود　　　من واجبات الواحد المعبود
إذ ظــــاهــرٌ بــأن كــل أثـــرِ　　　يهـدي إلى مـؤثـر فـاعـتـبـرِ

استدل الناظم -رحمه الله تعالى- على وجود الله تعالى بالدليل البسيط الذي يمكن أن يتوصل إليه العامي وغيره.

فكما أنه لا يوجد أثر بلا مؤثر، وبناء بلا باني، فكذا لا يوجد حادث بلا مُحدِث، ومخلوق بلا خالق.

ولو قلت لأي جاحد مادي: إن بناء كبيرا بني من غير بان، لأنكر عليك وسخر من عقلك، مع أنه الأولى بأن يسخر منه، وهو يرى هذا الكون العظيم المتغير بكل لحظة، ويأبى أن يقر بوجود مكوِّن له.

وذي تسمى صفة نفسية　　　ثم تليها خمسة سلبية

صفات الله تعالى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. نفسية، وهي الوجود فقط.

وسميت نفسية لأنها تدل على الذات دون معنى زائد عليها.

و الصفة النفسية إذا انتفت انفتى نفس الشيء، وذلك كالحيز للجرم، إذا انتفى انتفى كونه جرما، والناطقية بالنسبة للإنسان إذا انتفت انتفى كونه إنسانا، فالوجود بالنسبة لله تعالى، إذا انتفى انتفى كونه إلها.

وهذه الصفة تدل على مجرد الذات.

٢. سلبية، وهي التي تسلب عن أذهاننا اعتقادا باطلا في حق الله تعالى، وهي خمس سيأتي بيانها.

وهذه الصفات تدل على الذات مع دلالتها على تنزه هذه الذات عن كل سمات النقص.

٣. معاني، وهي كل صفة موجودة في نفسها، تثبت لمن قامت به حكما، وهي سبع سيأتي بيانها.

وهذه الصفات تدل على الذات مع إثبات الكمالات لها.

وليست هذه الصفات كل صفات الله تعالى، فنحن لا نعلم كل صفات الله تعالى، وإنما نعلم بعضها، ولسنا مكلفين بمعرفتها كلها.

وهي القِدَمْ بالذات فاعلم والبَقَا	**قيامُــه بنّفسِــه نِلْــتَ التّقَــى**
مخالفٌ للغير وحدانية	**فــي الــذات أو صــفاته العليَّــةْ**
والفعلِ، فالتأثيرُ ليس إلا	**للواحِــدِ القَهَّــار جــلَّ وعَــلا**
ومن يقل بالطبع أو بالعلة	**فــذاك كفــر عنــد أهــل الملــة**
ومن يقل بالقوة المودعةِ	**فــذاك بــدعي فــلا تلتفــتِ**
لو لم يكن متصفا بها لزمْ	**حدوثــه وهــو محــال فاســتقم**
لأنـه يـفـضـي إلـى الـتـسـلـسـلِ	**والدورِ وهو المستحيل المنجلي**
فهـو الجـليل والجـميل والوليْ	**والظـاهر القدوس والربُّ العلـيْ**

بعد أن أثبتنا وجود الله تعالى، ربما اعتقد إنسان اعتقادات باطلة في حقه تعالى، فوجب علينا أن نزيلها، بذكر صفاته.

و أول ما يمكن أن يعرض على ذهن الإنسان أن هذا الإله الذي ثبت وجوده، هل هو قديم أم حادث، فنسلب اعتقاد كونه حادثا بقولنا: الله قديم، ومعنى قدمه: أنه لا بداية لوجوده.

ونستدل على قدمه بأن نقول لصاحب الاعتقاد الباطل: لنفترض أن الله تعالى حادث، فإما أن يكون قد أحدث نفسه، أو أحدثه غيره، ولا ثالث لهذين، فإن بطلا بطل كونه حادثا.

ونأتي على القول الأول وهو أنه أحدث نفسه، فنقول:

إحداث الله سبحانه وتعالى لنفسه يلزم منه الدور، وهو محال عقلا، ونمثل للدور بمثال:

لو قال لنا قائل: من ولد فاطمة؟ فقلنا: زينب.

ومن ولد زينب؟ فقلنا: فاطمة.

فهذا دور محال عقلا؛ لأنه يلزم منه أن تكون زينب موجودة قبل فاطمة؛ لتلدها، وبعدها لتولد منها، وفاطمة موجودة قبل زينب؛ لتلدها، وبعدها؛ لتولد منه، وتقدم الشيء على غيره، وتأخره عنه، ضدان، والضدان يستحيل اجتماعهما عقلا، فظهر استحالة الدور.

فلو قلنا بأن الله تعالى أحدث نفسه، لزم أن يكون الله تعالى متقدما على وجوده ومتأخرا عنه؛ لأنه لكي يوجد نفسه لا بد أن يكون موجودا قبلها ليوجدها، فظهر استحالة ذلك عقلا.

ثم نأتي على الثاني، وهو أنه أحدثه غيره، فنقول:

إن كان قد أحدثه غيره، وغيره أحدثه غيره، وهكذا.. فهذا يلزم منه تسلسل الحوادث إلى ما لا بداية، وهو محال عقلا؛ لأن حكمنا على مجموع السلسلة

بالحدوث، حكم على كل فرد من أفرادها، فإن كانت كل أفرادها حادثة فلا بد أن يكون لها محدث غيرها.

لو قلنا بأن هناك حوادث لا أول لها، فكل حادث في السلسلة يجب أن يكون قبله حادث أحدثه، فهذا المحدث حادث والذي قبله كذلك، والذي قبله، فإذا أتينا إلى الحادث الأول فلم نجد له محدث، فمعنى هذا أنه لم يَحدُث؛ لأنه كما ثبت يستحيل وجود حادث بلا محدث، فإن ثبت عدم حدوثه لأنه لا محدث له، ثبت عدم حدوث ما بعده من أفراد السلسة.

فتكون السلسلة كلها باطلة لا أصل لها عقلا ما لم تستند إلى محدث غير حادث، وهو الله تعالى الذي لا بداية لوجوده.

فالله تعالى قديم ليس بحادث، ويلزم من قدمه أنه واجب الوجود، لا جائز الوجود؛ لأن الجواز دليل الحدوث كما تقدم.

فإذا ثبت قدم الله تعالى، طرأ على الذهن سؤال: فهل ينعدم هذا الإله؟

فنجيبه: بأن الله باق، أي لا نهاية لوجوده، فنسلب اعتقاد فنائه.

ونستدل على ذلك بأن نقول: لو أمكن أن يفنى، لما كان واجبا الوجود؛ لأن الواجب ما لا يقبل الفناء في ذاته.

ولو لم يكن واجب الوجود لكان جائز الوجود، ولو كان جائز الوجود لكان حادثا، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث، فيلزم من ذلك الدور أو التسلسل كما قدمنا في دليل القدم.

فيثبت بذلك أن الله تعالى باق.

فإن ثبت بقاؤه، ورد سؤال آخر: فهل هذا الإله قائم بنفسه، أم أنه قائم بغيره، فنقول: هو قائم بنفسه، فنسلب اعتقاد قيامه بغيره.

ونستدل على ذلك بأنه لو قام بغيره لكان صفة مفتقرا إلى ذات؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، فتفتقر لغيرها كي تقوم به، والافتقار يلزم منه الحدوث؛ فيلزم حدوث الله تعالى، ثم الدور أو التسلسل كما قدمنا.

فإن ثبت كونه تعالى قائما بنفسه طرأ على ذهن الإنسان الضعيف الذي تقيد بالماديات من حوله، ما هي أشباه الله تعالى، وكيف هو؟

فنقول: إن الله تعالى مخالف للحوادث، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾الشورى:١١ ، فكل ما خطر ببالك، فالله ليس كذلك، ولا يجوز للإنسان أن يتخيل شكلا أو صورة لله تعالى أو كيفية؛ لأنه لا صورة له، ولا شكل، ولا كيفية، ولا يجوز أن يتخيل حقيقته، فعقل الإنسان قاصر عن تخيل شيء غير موجود حوله، أو مركب من عدة موجودات، ولا وجود لغير الحوادث من حولنا، فنسلب بذلك مشابهته تعالى للحوادث.

ودليل استحالة مشابهته تعالى للحوادث: أن ما حولنا إما أن يكون جوهرا أو عرضا، فلا ثالث لهما، وكل منهما حادث، فمشابهته لشيء منهما يلزم منه أن يكون حادثا مثله؛ لما تقدم من إثبات حدوث العرض والجوهر.

فإن قال قائل: فما قولكم في الآيات والأحاديث التي يظهر منها مشابهة الله تعالى لخلقه؟

فنقول: إن أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على أنه يجب أن ينفى عنها ظاهرها، ثم قال المفوضة منهم بعد أن نفوا الظاهر: نفوض علمها لله تعالى.[1]

وقال المؤولة منهم بعد أن نفوا ظاهرها: نحملها على ما تقتضيه لغة العرب من معنى حقيقي أو مجازي لا يتعارض مع العقل، وفيه كمال التنزيه لله تعالى.

وبعضهم قال بعد نفي الظاهر: نقول بأن هذا اللفظ الذي نسب إلى الله تعالى وظاهره التشبيه، هو صفة معنى له، لا نعرف حقيقتها، لكنها ليست بعضو، ولا جارحة، ولا شيء مما يفهم من ظاهره.

وذلك كقول الله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ الفتح: ١٠، فجميعهم قالوا ليس المراد باليد اليد الحقيقية التي هي عضو وجارحة، ثم قال المفوضة: نفوض علمها إلى الله تعالى.

وقال المؤولة: نحملها على ما يناسبها من لغة العرب، من قوة، أو إرادة، أو نحو ذلك.

والفئة الثالثة توسطت و قالت: هي صفة معنى لله تعالى لا نعرف حقيقتها، لكنها ليست بعضو ولا جارحة.

وأسلم المذاهب الثلاثة: التفويض، وأحكمها: التأويل، وأضعفها: التوسط.

وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف، وفي هذه الآية إشارة إلى وجوب تعقل القرآن على وفق لغة العرب التي أُنزل فيها، ولغة العرب لغة المجاز والكنايات والتشبيهات، فعدم إعمال المعاني المجازية فيها وتفويض علمها لله تعالى يؤدي إلى ترك جزء كبير من كلمات القرآن بلا فهم له، فكان فهمها على وفق لغة العرب أقوى المذاهب.

وقد فارقت فئة من المسلمين جماعة أهل السنة والجماعة، فحملوا الآيات على ظاهرها المستحيل عقلا على الله تعالى، فصاروا بذلك مجسمة مشبهة لله تعالى بخلقه، و قالوا المقصود باليد في الآية المار ذكرها: يد لله تعالى حقيقية ليست كأيدينا، وقولهم ليست كأيدينا لا تدفع عنهم التجسيم؛ لأن قولهم: (حقيقية) لا يفهم منه عاقل إلا العضو.

وممن كانت له اليد العليا في نشر هذا المذهب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية، إلا أنهم كانوا في زمان كثر فيه العلماء، فما كاد يرتفع لهم صوت حتى حوربوا لمخالفتهم جماعة المسلمين، ورد عليهم العلماء العاملون، وشنعوا عليهم، حتى خفتت أصواتهم، وبقيت خافتة حتى ضعفت دولة الإسلام، وظهر في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب في صورة المصلح للأمة، فانخدع به كثير ممن أوصلهم الاستعمار للجهل بدينهم، فتبعوه وأظهروا مذهبه، الذي كان فيه موافقا لمذهب ابن تيمية في الاعتقاد، ومخالفا لجماعة المسلمين.

وقد كثرت هذه الجماعة في زماننا؛ لانتشار الجهل بعقائد أهل السنة والجماعة، و بلغة العرب وأساليبها المجازية، فنشرت باطلها، وأظهرت معاداتها لأهل السنة والجماعة، ولأئمتهم -رضوان الله عليهم-، و اتهمتهم بتحريف القرآن،

[1] - وللتوسع في هذه المسألة يرجع كتاب ((دفع شبه التشبيه)) لابن الجوزي، وكتاب ((دفع شبه من شبه وتمرد)) للحصني.

وادعت أنها موافقة للسلف في ذلك، وهيهات أن يكون بينها وبينهم أدنى مشابهة، فشتان بين من يحمل الكلام على ظاهره المستحيل عقلا على الله تعالى، وبين من ينفي ظاهره.

وبعد أن أثبتنا مخالفة الله تعالى لخلقه، فسيرد على الذهن سؤال: فهل هذا الإله واحدا، أم أنه متعدد؟

فنقول: بل هو واحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فنسلب بذلك تعدده.

فوحدانيته في ذاته أن ليس في الوجود ذات كذاته.

ووحدانيته في صفاته، أن ليس في الوجود صفات كصفاته.

وإن وصف أحد من خلقه بنفس وصفه، فإنما يكون ذلك مجرد اشتراك في اللفظ، واختلاف في المعنى، فالعلم يوصف به الإنسان ويوصف به الله تعالى، إلا أن علمه سبحانه وتعالى مخالف لعلمنا، لا مشابهة بينهما بغير اللفظ.

ووحدانيته في أفعاله، أن ليس في الوجود مؤثر غيره، فهو وحده الذي يوجد الشيء من عدم، ويعدمه بعد وجوده.

فالنار لا تحرق بذاتها، بل إن أراد الله تعالى لها أن تحرق، يخلق فيها عند ملامستها للشيء قدرة حادثة على الإحراق.

والإنسان لا يخلق أفعال نفسه، فالخالق للشيء لا بد أن يكون عالما بما يخلق، والإنسان لا يعلم حال فعله لشيء كيف صدر هذا الشيء منه، وماذا تحرك في داخله، و كم بذل من طاقة ونحو ذلك، فكيف يكون خالقا لشيء لا يعرفه.

ولكنه عندما يختار فعل شيء، يخلقه الله تعالى فيه، فيكتسبه الإنسان، فالله تعالى هو الخالق، والإنسان مكتسب لما يختاره، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات.

وقد خالف في هذه المسألة جماعة من الفلاسفة فقالوا بوجود مؤثر في الكون غير الله تعالى، فبعضهم قال: إن العلل مؤثرة في معلولاتها بذاتها، بلا إرادة لله تعالى، ولا يمكن تخلفها، كحركة الخاتم في الإصبع، فإن تحرك الإصبع لزم منه تحرك الختم، ولا يمكن أن يتخلف، فالنار علة الإحراق، فإذا وجدت النار وجد الإحراق، أراد الله تعالى أو لم يرد.

بعضهم قال: بل هي مؤثرة بطبعها، وهم الطبائعيون، فهم يقولون بتأثير العلل في معلولاتها كالمعللين، إلا أنهم يشرطون انتفاء الموانع، وتوفر الشروط، فالنار تحرق بطبعها، إذا توفرت شروط الإحراق، وانتفت موانعه، من بلل ونحوه، وكلا القولين كفر.

وهو ما عليه كثيرمن الغربيين الماديين اليوم فهم يؤمنون بأنه لا وجود لمؤثر غير الطبيعة.

وخالف فيها أيضا المعتزلة، وهم فئة من المسلمين خالفت أهل السنة والجماعة في اعتقادها في مسائل كثيرة، منها هذه المسألة، فقالوا إن الله أودع في الأسباب قوة على إيجاد مسبباتها، فأودع في النار قوة على الإحراق، فهي تحرق متى وجدت، وأودع في الإنسان قدرة على خلق أفعال، فهو يخلق أفعاله متى شاء،

وهم على هذا القول مبتدعة في الاعتقاد؛ لأنهم أثبتوا مع الله تعالى خالقا، ولم نقل بكفرهم على المعتمد؛ لأنهم ردوا الأمر إلى الله تعالى.

ودليل وحدانيته تعالى أنه لو كان معه إله آخر وأرادا إيجاد شيء من عدم، فإما أن يتفقا على إيجاده، وإما أن يختلفا.

فإن اتفقا فإما أن يتفقا على أن يوجداه معا، وهذا مستحيل؛ لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

أو على أن يوجده أحدهما، فيلزم منه عجز الآخر؛ لأنه عاجز عن أن يوجده معه.

وإن اقتسما العمل، بأن يوجد أحدهما بعض العالم والآخر بعضه الآخر، فيلزم منه عجز كل منهما عما قُسم للآخر.

وإما أن يختلفا، فيريد أحدهما إيجاده، والآخر إعدامه.

ويستحيل تحقق إرادتهما؛ لأنه يلزم منه اجتماع النقيضين، بأن يكون الشيء موجودا ومعدوما، وهو محال عقلا.

ويستحيل أن تنتفي إرادتهما؛ لأنه كذلك جمع للنقيضين.

وإن تحققت إرادة أحدهما، ظهر عجز الآخر، وإن حكمنا عليه بالعجز، فالأول مثله؛ لأننا افترضناه إلها مثله.

فظهر بذلك استحالة وجود إله آخر، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء.

منـزهٌ عن الحلولِ والجـهــة   والاتصـال الانفصـالِ والسَّفَهْ

تنزه الله تعالى عن أن يحل في مكان، فالله تعالى مستغن عن المكان، فلا يحتاج للمكان إلا جسم، والله تعالى ليس بجسم.

وتعالى أن يكون له جهة، أو يتصل في شيء، أو ينفصل عن شيء، فكل ذلك من صفات الأجسام.

ثـم المعـاني سبـعـة للرائي   أي عـلـمُـهُ المـحـيـطَ بالأشياء
حـــيــاتُـه وقــدرةٌ إرادة   وكـــلُ شــيءٍ كـائــنٌ أراده
وإن يــكـن بـضـدِّه قد أمرا   فالقصد غير الأمر فاطرح المرا

بدأ الناظم هنا بعَدِّ القسم الثالث من أقسام الصفات، وهي صفات المعاني.

وهذه الصفات معان زائدة على الذات، لا علم لنا بحقيقتها، وإنما نعلم أحكامها فقط.

وأولها الحياة وهي صفة تصحح لمن قامت به الإرادة.

والعلم صفة واحدة تتعلق بكل المعلومات على وجه الإحاطة بها دون سبق خفاء.

والإرادة صفة واحدة تخصص جميع الممكنات ببعض جوانب الإمكان على وفق العلم.

والقدرة صفة واحدة توجد جميع الممكنات أو تعدمها على وفق الإرادة.

فالإرادة تخصص كل ممكن، والقدرة توجده.

وجهات الإمكان: الوجود والعدم، والزمان، والمكان، والجهة، والقدر، والصفة.

فالشمس مثلا مع وجودها المشاهد إلا أنها يمكن عدمها، و هي قبل وجودها كان يمكن أن توجد، ويمكن أن تستمر في العدم، فالله بإرادته خصص وجودها، وخصص مكانها في مركز المجموعة الشمسية، وخصص صفتها، ونحو ذلك، وأوجدها بقدرته.

وكل ما يجري في الكون فإنما يحصل بإرادة الله تعالى وقدرته، سواء الطاعة والمعصية، فلا يخالف شيء إرادته، وإن خالف أمره، فلا تلازم بين الإرادة والأمر.

وربما قال قائل: فكيف يعاقب الله تعالى العاصي، مع أنه لا يعصي إلا بإرادة الله تعالى؟!

فنقول مقربين فهم هذه المسألة بمثال: لو أن أبا وضع ابنه الصغير في غرفة مع لعب وكتب، ونهاه عن اللعب، و توعده إن لعب بالعقاب، و جلس يرقبه في غرفة أخرى، فلعب الولد، و الأب قادر على أن يمنعه، ولكنه أراد أن يعطيه حق الاختيار.

فلعب الولد موافق لإرادة الأب؛ لأن الأب قادر على منعه بإزالة اللعب، ولكنه مخالف لأمره ونهيه، فمخالفته هذه هي التي جعلته مستحقا للعقاب.

فكذا الإنسان عندما يعصي الله تعالى فإنما يكون مخالفا لأمره لا لإرادته، و يستحق العقاب لأنه اختار المعصية.

ولا ينكر اختيار الإنسان إلا معاند، فكل إنسان يشعر بالفرق بين أن يوثقه إنسان ويرمي به من مكان مرتفع، وبين أن يمشي برجليه ليلقي بنفسه بكامل إرادته، فهو مجبور في الصورة الأولى، مختار في الثانية.

وأما قول الناظم:

فقد علمت أربعاً أقساما في الكائنات فاحفظ المقاما

فهي أقسام توافق إرادة الله مع أمره، وهي أربعة.

١. أن يأمر ويريد، وذلك كأمره سيدنا أبا بكر الصديق-رضي الله عنه- بالإيمان، وإرادته الإيمان له.
٢. أن يأمر ولا يريد، وذلك كأمره أبا لهب بالإيمان، وعدم إرادته له.
٣. أن لا يأمر ويريد، وذلك كعدم أمره أبا لهب بالكفر، مع إرادته له.
٤. أن لا يأمر، ولا يريد، وذلك كعدم أمره من مات مؤمنا بالكفر، وعدم إرادته له.

كلامه والسمع والإبصارُ فهو الإله الفاعل المختارُ

الكلام صفة تتعلق بالشيء تعلق دلالة على وفق العلم.

والسمع والبصر، صفتان تتعلقان بالموجودات على وجه الإحاطة.

وواجب تعليق ذي الصفات حتما ودوما ما عدا الحياة
فالعلم جزما والكلام السامي تعلقا بسائر الأقسام

كل صفة من صفات المعاني عدا الحياة لها تعلق بغيرها، وقد ذكر الناظم تعلقاتها.

فأما العلم والكلام فيتعلقان بالواجبات، والجائزات، والمستحيلات العقلية، لكن تعلق العلم تعلق إحاطة، وتعلق الكلام تعلق دلالة.

ومن هنا يظهر استحالة الكذب على الله تعالى؛ لأن الكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وكلام الله تعالى على وفق علمه، وعلم الله تعالى محيط بكل شيء على ما هو به في الواقع، فيستحيل أن يكون كلامه مخالفا لواقع الأمر.

وقدرةٌ إرادةٌ تعلّقا بالممكنات كلها أخا التقى

وأما القدرة والإرادة فلا تتعلقان إلا بالجائزات العقلية، وأما الواجبات والمستحيلات العقلية، فلا تتعلق قدرة الله تعالى بهما، لا لأن الله تعالى عاجز، ولكن لأن الواجب العقلي غير قابل للانتفاء، و المستحيل العقلي غير قابل للثبوت، فلو أضفنا إلى واحدا حقيقيا إلى واحد حقيقي فيستحيل أن يكون الناتج عنهما ثلاثة لعدم قبولهما ذلك.

ومن هذا فإن قدرة الله تعالى لا تتعلق بإيجاد إله مثله، لأن الإله الآخر غير قابل للثبوت، ولنفرض أنه أوجده فلن يكون إلها مثله، لأن الله تعالى واجب الوجود ليس لوجوده بداية، وهذا الذي وجد جائز الوجود، وأنى يتماثلان.

وكذا يستحيل على الله تعالى أن يتخذ ولدا، ولو احتج جاهل على جواز ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر، نقول له: إن هذا دليل عليك لا لك، ففي قول الله تعالى: ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أكبر دليل على أن هذا مستحيل، إذ أن الولد الحقيقي لا بد أن يكون من جنس الوالد، وكيف يكون مخلوق جائز، كخالق واجب، سبحانه هو الله الواحد القهار.

ويغفل المجيزون من الجهلة عن أننا لو أجزنا ذلك لما عاد هناك فرق بيننا وبين دين النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، فكفرهم الله بهذا؛ لأننا قلنا بالجواز، وهم قالوا بالوقوع، فلم يزيدوا علينا إلا بأن أثبتوا وقوع ما هو جائز عليه.

وما كفر من كفر من النصارى بالدين النصراني، وفضل عليه الإلحاد، إلا لكون هذا الدين مخالفا للعقل، الذي خلقه الله تعالى ليفهم الإنسان فيه دينه، ويميز فيه الحق عن الباطل، فكيف نعتقد في ديننا العظيم تعارضه مع العقل؟!

وأما دليل اتصاف الله تعالى بالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، فهو وجود العالم من حولنا؛ فوجوده دليل على قدرة موجده.

وانتظام العالم على النحو الذي هو عليه، دليل على إرادة موجده، وعلمه.

وكل من العلم، والإرادة، والقدرة دليل على أن من اتصف بها حي.

وأما دليل الكلام فنقلي، فقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٥٣﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦، وغيرها من الآيات والأحاديث.

واجزم بأن سمعه والبصرا تعلقا بكل موجود يرى

وأما السمع والبصر فيتعلقان بالموجودات.

وسمعه وبصره تعالى بلا عضو، ولا جارحة، ولا واسطة.

ودليل السمع والبصر نقلي أيضا، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج. ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾الملك.

وكلها قديمة بالذات لأنها ليست بغير الذات

صفات المعاني كلها موجودة، قديمة، باقية، مخالفة لصفات الحوادث كذات الله تعالى؛ لأنها في الحقيقة ليست بشيء منفصل عن الذات في الخارج، وإنما تنفصل عن الذات في المفهوم فقط.

فالإنسان يتعقل مفهوم ذات عارية عن هذه الصفات، ويتعقل مفهوم الصفة منفصلة عن الذات، فتتعدد عنده المفاهيم، مع أنها متحدة خارجا، فالموجود في الحقيقة شيء واحد، وهو الذات المتصفة بالصفات.

وصفات الله تعالى كلها واجبة الوجود كذاته، يستحيل أن يكون شيء منها جائزا؛ لأنه لو كان جائزا لكان حادثا، ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث، فإن كان المحدث غير الله تعالى، فيكون الله تعالى مفتقرا لغيره، و يلزم من ذلك التسلسل.

وإن كان المحدث هو الله تعالى فيلزم الدور؛ لأنه لكي يوجد لنفسه القدرة مثلا لا بد أن يكون قادرا، ومريدا، فتكون القدرة متقدمة على وجودها ومتأخرة عنها.

ثـم الكلام لـيـس بالحروف وليس بالترتيب كالمألوفِ

فكلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، ولا فيه تقديم، ولا تأخير؛ لأن هذا كله من صفات الحوادث، وكلام الله تعالى قديم ليس بحادث.

فإن قال قائل: فالقرآن الذي نقرأه حروف وأصوات، وهو كلام الله تعالى، فكيف نفيتم عن كلامه تعالى الحرف والصوت.

قلنا: إن الحروف والأصوات التي نقرؤها ليست هي صفة الله القائمة بذاته، وإنما هي مخلوقة لله تعالى لتدلنا على الكلام الله تعالى القائم بذاته، وهو صفة له.

ونقرب ذلك بأن نقول: لو جالت في نفسك مشاعر، وأردت أن تعبر عنها بكلمات، فإنك ستحتاج لأن تستعمل الحروف بالكتابة أو الصوت لتعبر عما في دخلك، ثم إن هذه الحروف والأصوات ليست هي المشاعر الحقيقية التي تجول بداخلك، وإنما تدل عليها.

وتعالى الله عن أن يجول به شيء، أو تعتريه مشاعر، وإنما نقول ذلك لنقرب فهم الفرق بين الحرف والصوت والكلام الذي هو الصفة.

ويستحـيل ضدٌّ ما تـقـدما من الصفات الشامخات فاعلما
لأنه لو لم يكن مـوصـوفا بـهـا لـكـان بالـسـوى معـروفـا
وكـلٌّ مـن قـام به سـواها فهو الذي في الفقر قـد تـنـاهى
والواحد المعبود لا يفـتقـر لغـيـره جـلَّ الغَـنِـيْ الـمُـقَـتَـدِرُ

كل صفة من الصفات الواجبة التي تقدم ذكرها، يستحيل أن يتصف الله تعالى بضدها.

فيستحيل أن يكون الله تعالى حادثا، أو يقبل الفناء، أو قائما بغيره، أو مشابها لشيء من خلقه، أو متعددا.

ويستحيل عليه كذلك أن يتصف بشيء من أضداد صفات المعاني.

ودليل ذلك أن أضداد هذه الصفات لو قامت به لكان متصفا بصفات النقص، و منتفية عنه صفات الكمال، وذلك يجعله مفتقرا لغيره؛ ليزيل عنه نقصه ويكمله.

ولأننا أثبتنا بالأدلة وجوب اتصافه تعالى بالصفات التي تقدم ذكرها، فإذا ثبتت استحال أن يتصف بضدها؛ لاستحالة اجتماع الضدين.

وبهذا نكون قد انتهينا من ذكر ما يجب اعتقاده في الله تعالى، و ما يستحيل.

وبقي لنا أن نتحدث عما يجوز في حق الله تعالى، وهي أفعاله، والفرق بين الأفعال والصفات، أن صفات الله تعالى تقوم بذاته، ولا يقوم بذاته إلا واجب الوجود؛ لأن ذاته سبحانه وتعالى لا يعتريها التغيير والتبدل؛ فالتغيير والتبدل من صفات الحوادث، وهي قديمة.

وأما أفعاله فلا تقوم بذاته، وإنما تقوم بغيره؛ لأنها كلها حادثة لكونها مسبوقة بالإرادة والاختيار، وما يكون متوقفا على الإرادة فلا بد أن يكون حادثا في نفسه، فكل ما في الكون من فعل الله تعالى.

وما دمنا قد أثبتنا أن كل ما سوى الله تعالى حادث، فقد ثبت أن أفعاله كلها حادثة.

وجـائـز فـي حـقـه الإيـجـــاد والترك والإشقاء والإسعاد
ومن يقَلْ فِعْلُ الصلاحِ وجَبا على الإله قد أساء الأدبا

كل أفعال الله تعالى جائزة كما تقدم، فلا يجب عليه فعل شيء ولا تركه.

وقد خالف في هذه المسألة المعتزلة، فقالوا بأنه يجب على الله تعالى فعل ما فيه صلاح للعبد، وإلا لكان ظالما، والظلم عليه محال.

وكلامهم هذا باطل، لا دليل عليه، و لا يعتقد به إلا ظالم لنفسه، فالظالم من استعمل ملك غيره بغير حق، و كل ما في الكون ملك لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كيف شاء، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء

ومع هذا فإنه يعامل الناس بعدالته، فلا يظلمهم شيئا، و ما يصيبهم بضر إلا ليمتحنهم، فمن صبر ضاعف له الأجر برحمته، ومن قنط واعترض على قضاء الله تعالى عاقبه بعدالته.

واجزم أخِـيْ بِـرُؤيـة الإلـهِ في جـنـة الخـلد بلا تناهي
إذِ الـوُقوعُ جـائـزٌ بالعـقـلِ وقـد أتى فـيـهِ دليـلُ النّـقـلِ

ومما يجوز في حق الله تعالى أن يراه عباده المؤمنون في الآخرة، كما وعدهم سبحانه في كتابه حيث قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾القيامة.

ومنها قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف، ولولا علم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بجواز ذلك على الله تعالى لما طلبه، وهو من الرسل الذين هم أعرف الخلق بالله تعالى وما يجوز له وما يستحيل عليه

وقد نفى رؤية الله تعالى المعتزلة، والشيعة، وغيرهم من الفرق التي خالفت جماعة المسلمين، وقالوا إن الرؤية تستلزم أن يكون المرئي في جهة من الرائي، والجهة من صفات الأجسام، والله تعالى منزه عن الجسمية، وغير ذلك من الأدلة الضعيفة، وهم بذلك يخالفون ما جاء في الآيات و الأحاديث الصحيحة.

وقولهم: إن الرؤية تستلزم أن يكون المرئي في جهة من الرائي، فهذا الاستلزام إنما هو استلزام عادي، لا عقلي، فلا يستحيل أن يخرق هذا الحكم، لا سيما في الآخرة التي لا تسير على وفق قوانين الدنيا.

وكفى برؤية الله تعالى لنا ونحن بغير جهة منه، دليل على جواز ذلك.

وما دام العقل يجيز أن يرى الشيء وهو في غير جهة من الرائي، وجاء الشرع مثبتا لوقوع هذا الجواز، فقد وجب علينا أن نؤمن به.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على قسم الإلهيات، فننتقل إلى الكلام على قسم النبوات.

وقبل أن نذكر الصفات الواجبة للأنبياء –صلوات ربي وسلامه عليهم- نعرف الرسول والنبي.

الرسول: إنسان، حر، ذكر، بالغ، فطن، أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأمره بتبليغه للعباد، يرسل إليه أحيانا كتاب.

النبي: إنسان، ذكر، بالغ، فطن، أوحى الله تعالى إليه بأمور، ولم يأمره بتبليغ ما أوحي إليه، وهذا لا ينافي أنه مأمور باتباع رسول قبله والدعوة إلى رسالته.

وكل رسول كان نبيا، ثم ترقى فصار رسولا، بأن أوحي إليه بشرع، وأمره بتبليغه، وليس كل نبي رسول، فبعض الأنبياء لم يوح إليهم بشرع جديد يأمرون بتبليغه، وإنما يوحى إليهم مور خاصة لا يلزمهم تبليغها، و يعملون بشرع من كان قبلهم، فيكونون أنبياء فقط وليسوا رسلا.[1]

ويجب أن نؤمن بالأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، ولا نحصرهم بعدد؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ غافر ، فنؤمن بأن هناك من الأنبياء من لم يصلنا خبره، كي لا ننكر أحدا منهم إن لم نعرف ذكره في القرن.

و يجب علينا أن نعرف أسماء من ورد ذكرهم في القرآن منهم ، و هم خمسة وعشرون نبيا:

سيدنا آدم – سيدنا إدريس – سيدنا نوح – سيدنا هود – سيدنا صالح – سيدنا يونس – سيدنا إبراهيم – سيدنا لوط – سيدنا إسماعيل – سيدنا إسحاق – سيدنا يعقوب – سيدنا يوسف – الأسباط – سيدنا أيوب – سيدنا شعيب – سيدنا إليسع – سيدنا ذو الكفل – سيدنا داود – سيدنا سليمان – سيدنا موسى – سيدنا هارون – سيدنا زكريا – سيدنا يحيى – سيدنا عيسى – وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا.

ويجب توقيرهم، واحترامهم، فهم أفضل البشر على الإطلاق، وأكمل البشر، ما حاز الكمال البشري غيرهم أحد من الناس، صلوات ربي وسلامه عليهم.

وهذا ذكر لصفاتهم الواجبة لهم، والمستحيلة عليهم، والجائزة في حقهم:

وَصِفْ جميعَ الرُّسْلِ بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة

أول صفة يجب إثباتها للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم الصدق، فإذا ثبت صدقهم وجب علينا أن نصدقهم بكل ما جاؤوا به.

ودليل صدقهم المعجزة، وهي: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقا له.

[1] - وبعض العلماء قال: لا فرق بين النبي والرسول، فكل رسول نبي، وكل نبي رسول.

ويبان ذلك: لو كان عادة ملك من الملوك أنه لا يقوم لدخول أحد من رعيته، ولا يصافح أحدا منهم، فجاء يوما أحد الرعية، وقال للناس: إن الملك يأمركم أن تقوموا بعمل ما، ومن قام منكم بالعمل على وجهه فإن الملك سيجزل له العطاء، ومن لم يعمله، فستحل عليه عقوبة الملك.

فسأله الناس عن دليل صدق كلامه؟

فقال لهم على مسمع من الملك: دليله أن الملك سيخرق عادته، وسيقوم لكم، ويصافحكم، فقام الملك وصافحهم واحدا واحدا.

ففعل الملك هذا دليل على صدق كلام هذا الشخص.

وكذلك معجزات الأنبياء، فإنها تخرق قوانين الكون التي وضعها الله تعالى تصديقا لهذا النبي، فكأن الله تعالى يقول لعباده عند خرقه للعادة: صدق عبدي في ما يدعيه من النبوة.

وتخرق العادة لأحد ستة أمور:

١. المعجزة.
٢. الإرهاص، وهي ما يخرق من عادة للنبي قبل بعثته، تمهيدا له، وذلك كتسليم الأحجار والأشجار على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشق صدره.
٣. الكرامة، وتظهر على يد الصالحين من الأولياء.
٤. الإعانة، وتظهر على عوام الناس، معونة لهم من الله تعالى، وتكون في الأمور العامة، كشفاء من يئس من شفائه، ونحو ذلك، ولا تبلغ أن تكون كالمعجزة والإرهص.
٥. الاستدراج، ويظهر على يد الكفار، والفسقة، فتنة لمن حولهم، واستدراجا.
٦. الإهانة، وتظهر على يد من أراد الله إهانته، بأن يحصل له أمر خارق للعادة، إلا أنه مناف لمراده، وذلك كإصابة العين السليمة من الأعور الذي دعا له مسيلمة الكذاب بشفاء عينه العوراء.

فإن قال قائل: فكيف ستخرق العادات للمسيح الدجال مع أنه كاذب؟

قلنا: إن المسيح الدجال لا يدعي النبوة، بل يدعي الألوهية، ويخرق الله تعالى له العادة استدراجا، فمن قوي إيمانه، وعرف ربه بالصفات التي مر ذكرها، سيقطع أن إلهه ليس إنسانا، ولا جسما، وأما من جهل صفات الله تعالى، واغتر بإيمانه التقليدي، أو عرفها وغفل عنها، أو اعتقد الجسمية لله تعالى، فذلك الذي يخشى عليه، أعاذنا الله تعالى من هذه الفتنة العظيمة.

فإذا ثبت صدق الأنبياء –صلوات ربي وسلامه عليهم– وجب علينا أن نصدقهم بكل ما جاؤوا به.

وأما الصفة الثانية التي يجب علينا أن نثبتها لهم، فهي الأمانة.

والأمانة: هي حفظ جوارحهم عن ارتكاب المحرم والمكروه.

فهم معصومون عن الوقوع في المعصية؛ ودليل ذلك أن الله تعالى أمرنا بتصديقهم، وكان أول ما أمرونا به وجوب اتباعهم.

فإن هم ارتكبوا المعاصي، ووجب علينا اتباعهم بها، فلن يكون هناك فرق بين الطاعة والمعصية، وسيلتبس على الناس أمر دينهم.

فإن قال قائل: فما قولكم بالآيات والأحاديث التي ورد فيها ما يدل على وقوع المعصية من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وإقرار كثير من المفسرين لها في كتبهم على أنها معصية بنقلهم الروايات التي تفسرها بذلك؟

قلنا إن هذه الروايات إنما جاءت من الإسرائليات، ودونها أئمتنا في كتبهم على سبيل ذكر الروايات التي وردت في تفسير الآية، وظنا منهم أن المطلع على كتبهم لن يبلغ به الأمر أن يلتبس عليه الحق في هذه المسألة.

وقد دون في بيان ذلك أئمتنا –رضوان الله عليهم– وردوا على هذه الروايات الباطلة، فلتراجع في المطولات.[1]

وأما الصفة الثالثة فهي تبليغ ما أمروا بتبليغه.

وما يوحى إلى النبي منه ما يؤمر بكتمانه، ومنه ما يؤمر بتبليغه للبعض كصفات المنافقين التي لم يطلع عليها غير حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه–، ومنه ما يؤمر بتبليغه لكل الناس، وهو كل الأحكام التكليفية، والأمور التي فيها مصالح الأمة، ونحو ذلك من الأمور العامة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، و ما تم هذا الدين إلا بتمام تبليغه.

وأما الصفة الرابعة فهي الفطانة.

فتجب لهم الفطانة لأن مهمتهم التعامل مع الناس، وتفهيمه أمر دينهم، ورد شبههم، وإبطال حجج الجاحدين، ولا يكون ذلك إلا من أفطن الناس.

ويستحيل ضدها عليهِمُ وجائز كالأكل في حقهم

كل صفة وجبت للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، استحال عليهم ضدها.

فيستحيل أن يتصفوا بالكذب، أو الخيانة، أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه، أو البلادة.

وأما ما يجوز في حقهم، فالأعراض البشرية، من أكل، وشرب، ونوم، ومرض، و نحو ذلك مما لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية، أو ينفر منهم الناس.

وأما الأمراض المنفرة، أو التي تحول بينهم وبين القيام بمهامهم التبليغية، فلا تجوز في حقهم، كالجذام، والبرص، والعمى، ونحو ذلك.

إرسالهم تفضُّلٌ ورَحْمَةْ للعالَمينَ جَلَّ مُولِيْ النِّعْمَةْ

لا يكفي العقل في معرفة الدين كله، بل لا بد من وجود نبي ليطلع الناس على الأمور الغيبية التي لا تعلم بغير الوحي، ولا يتوصل إليها بمجرد العقل.

[1] - وللتوسع في هذه المسألة يراجع الجزء الأخير من كتاب ((الشفا)) للقاضي عياض، وتفسير سورة (يوسف) من كتاب التفسير الكبير للفخر الرازي، فقد توسع في ذكر هذه المسألة.

ومع هذا فإنه لا يجب على الله تعالى إرسال الرسل، لما تقدم من أنه لا يجب عليه فعل شيء ولا تركه، وإنما أرسلهم تفضلا ورحمة منه؛ ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل بالله تعالى، إلى أنوار المعرفة، وقد قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء.

ويلزم الإيمان بالحساب والحشر والعقاب والثواب
والنشر والصراط والميزانِ والحوض والنيران والجنان
والجنِّ والأملاك ثم الأنبيا والحور والولدان ثم الأولـيا

بعد أن انتهى الناظم من الكلام عن الإلهيات، والنبوات بدأ بالكلام عن الغيبيات التي يجب على كل مؤمن الإيمان بها.

ولا بد من تقديم مقدمة لذلك، فنقول:

ما ثبت بالشرع، فإما أن يثبت بدليل قطعي، وإما أن يثبت بدليل ظني.

فالقرآن ثابت بدليل قطعي عن الله تعالى؛ وهو متواتر، ومثله الأحاديث المتواترة.

وأما أحاديث الآحاد، فإنها ثابتة ظنا.

وكل من هذين القسمين إما أن تكون دلالته قطعية بأن لا تحتمل إلا معنى واحدا، أو ظنية بأن احتملت عدة معان.

فيحصل معنا أربعة أقسام:

قطعي الثبوت والدلالة، وهذا قطعا يكفر منكر ثبوته أو دلالته بعد علمه به.

قطعي الثبوت، ظني الدلالة، وهذا يكفر منكر ثبوته، وأما دلالته فلا يكفر بإنكارها.

ظني الثبوت، قطعي الدلالة، فهذا يفسق منكر ثبوته، أو دلالته ولا يكفر، وهذا إن لم يكن عنده دليل معتبر، وأما إن كان لديه دليل معتبر فلا يفسق ما لم يكن من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

ومثله ظني الثبوت ظني الدلالة.

وعلى هذا فهذه الأمور الغيبية التي عدها الناظم كلها ثابتة على سبيل القطع، فيجب الإيمان بها مجملة، ويكفر جاحدها.

وأما تفاصيل وصفها، فربما اختلف فيها.

وسنذكرها مرتبة على النحو الذي ذكرها فيه الناظم، فنقول:

- الحساب، وهو محاسبة الله تعالى عباده على أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ الرعد

- الحشر، وهو جمع العباد بأجسادهم، وأرواحهم ليوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام

- العقاب للعاصين، والثواب للمطيعين، قال الله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المائدة، ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ آل عمران، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ الفرقان

- النشر، وهو إخراج الناس من قبورهم بأجسادهم، وأرواحهم، ويسمى البعث أيضا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام

- الصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم، يعبره المؤمنون ليدخلوا الجنة، قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في الشفاعة: (وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟! ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار).

- الميزان، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الأعراف

- الحوض، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أنس – رضي الله عنه – قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أنزلت علي آنفا سورة) فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير،

هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي! فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك).

- الجنة، والنار، وهما مخلوقتان، موجودتان، لا تفنيان، ولا يفنى عذابهما، قال الله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يونس

- الجن، وهم مخلوقون من النار، يتناكحون، ويتوالدون، وهم مكلفون كبني آدم، فمنهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات

- الملائكة، وهم مخلوقات من نور، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرون، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر

- ويجب الإيمان بعشرة منهم على التفصيل، وهم، سيدنا جبريل عليه السلام، وهو الموكل بالوحي - سيدنا ميكائيل، وهو الموكل بالأرزاق، والأمطار - إسرافيل، وهو الموكل بالنفخ بالصور - ومالك ورضوان، وهما خازن الجنة، وخازن النار - ورقيب وعتيد، وهما جنس من الملائكة، فلكل إنسان رقيب وعتيد - ومنكر ونكير، وهما فتانا القبر - وملك الموت.

- الأنبياء، وقد تقدم ذكرهم.

- الحور، وهن نساء في الجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الواقعة.

- الولدان، وهم غلمان في الجنة يخدمون المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإنسان.

- الأولياء، وهم عباد الله تعالى المقربون، قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يونس ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنفال

فمن أنكر تفاصيل هذه الأمور مما لم يأت به دليل قاطع لم يكفر، وأما من أنكرها جملة وتفصيلا، فإنه يكفر؛ لثبوتها بالأدلة القاطعة.

وهناك أمور أخرى مما يجب الإيمان بها، كأشراط الساعة، من نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام، وظهور المسيح الدجال، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

و ما يكون يوم القيامة من أخذ المسلمين كتابهم بيمينهم، والكافرين بشمالهم، وتبيضض وجوه المؤمنين، وتسويد وجوه الكافرين، ونحو ذلك من أمور لم يذكرها الناظم، وتذكر في المطولات.

وكـل ما جـاء من البـشيـرِ من كلِّ حكمٍ صار كالضروري

كل حكم اشتهر وصار معلوما من الدين بالضرورة، وأجمع عليه، وجب الإيمان به، و كفر جاحده، وفسق تارك العمل به من غير جحود.

فمن ذلك: حرمة الربا، والخمر، والسرقة، والقذف، و الزنا، واللواط، وقتل النفس، وأكل الميتة، والخنزير، و نحو ذلك.

ومنها: وجوب الصلوات الخمس، والطهارة لها، وصيام رمضان، و الزكاة المجمع عليها، والحج للمستطيع، والحجاب، ونحو ذلك.

ومن ذلك جحود سنة صارت معلومة من الدين بالضرورة، كسنة الفجر والمغرب، و نحو ذلك.

وتفاصيل هذه الأمور تذكر في كتب الفقه.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على العقائد.

ويـنـطـوي في كلمة الإسلامِ ما قد مضى من سائر الأحكام

وكلمة الإسلام هي: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

فإذا آمن الإنسان بما مر ذكره، واطمأن قلبه به، ترجم عن إيمانه بالشهادتين الحاويتين للعقائد؛ لأن إقراره بأن لا إله إلا الله، إقرار منه أنه لا يستحق العبادة إلا الله؛ لأنه الإله الحق الذي تنزه عن النقائص، واتصف بصفات الكمال، فاستغنى عن كل ما سواه، وافتقر إليه كل ما عداه.

وإقراره بأن سيدنا محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إقرار منه بصدقه، وأمانته، وكماله الإنساني الذي يؤهله لأن يصطفى من بين البشر، و إقرار منه بوجوب اتباعه بكل ما جاء به، من عقائد غيبية، وأحكام شرعية، ونحو ذلك.

وإقراره بالشهادتين ونطقه بهما يجعله من جملة المسلمين المستسلمين لأوامر الله تعالى ونواهيه، فتجرى عليه أحكام المسلمين في الدنيا.

ومن حسن اعتقاده، وأقر باستسلامه لله تعالى، وجب أن تظهر ثمرة هذا الاعتقاد في أعماله الظاهرة والباطنة؛ ليصل إلى تمام معرفة الله تعالى، والقرب منه.

فختمت المنظومة بذكر درجات الترقي في الوصول إلى الله تعالى، وأول هذه الدرجات إدامة ذكره.

فأكْـثِرَنْ من ذكـرهـا بالأدبِ ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب

بما أننا قدمنا أن كلمة الشهادتين قد حوت العقائد، فلا بد أن تكون الكلمة المشهود بها وهي (لا إله إلا الله) من أفضل الذكر.

فيستحب للمؤمن أن يديم ذكره لها في كل حال، وأن يكون له مجلس للذكر بها مع الإتيان بآدابها.

وقد عد أئمتنا رضوان الله عليهم من آدابها: أن يتطهر، ويجلس بأدب مستقبلا القبلة، ويقدم عليها الاستغفار، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي بها مستحضرا معانيها الحاوية للعقائد، ويكون له ورد دائم لا ينقص عنه، فبالمداومة يظهر أثر العبادة.

وغَلِبِ الخوفَ على الرجاء وســـر لـــمـــولاك بـلا تـنـاء

فإذا داوم الإنسان على ذكرها بالأدب، اندفع في داخله الخوف من غضب هذا الإله، وولدَ الخوفُ الندمَ على ما فرط في حقه، وعلى تقصيره في عبادته.

و لا ينبغي أن يبلغ خوفه مهما كثرت ذنبوه إلى الحد الذي يوصله إلى القنوط من رحمة أرحم الرحمين، ومغفرته، فينفتح عليه باب للشيطان عظيم، يحثه فيه على التمادي في المعصية، وعدم الاستغفار، والاستزادة في الدنيا، لئلا يخسر الدنيا الآخرة، وربما أوصله ذلك للكفر.

فوجب على الإنسان أن يستحضر مع الخوف الرجاء، فيرجو رحمة الله تعالى، وعفوه، ومغفرته، مهما ارتكب من الذنوب، فقد قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر.

فإذا رجا الله تعالى، ولَّد هذا الرجاء المحبة لله تعالى، وولدت المحبة الحياء منه، وولد الحياء دوام الطاعة، والشعور بمنة الله تعالى أن رحم وغفر.

فالخوف والرجاء للمؤمن كجناحي الطائر، لو فقد أحدهما هوى.

ولما كان من المحتمل أن يولد الرجاء التمادي بالمعاصي، اتكالا على سعة المغفرة، وجب أن يغلب العبد خوفه على رجائه حال قوته، وصحته، ويغلب رجاءه على خوفه حال مرضه وقرب أجله؛ ليلقى الله تعالى محسن الظن به.

فإن اعتدل المؤمن في خوفه ورجائه، بدأ بالسير إلى الله تعالى، بثبات وثقة، بلا توان، ولا تهاون.

وجَـــدِّدِ الـــتّـــوبـــة للأوزارِ لا تـيـأسـن من رحـمة الغـفـار

لما كان كل إنسان مهما علا غير معصوم عن الوقوع في المعاصي، كان الواجب عليه أن يجدد التوبة والاستغفار في كل حين.

وشروط التوبة ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم عليها، والعزم على عدم العودة إليها.

فإن كانت المعصية بين العبد وآدمي، كالسرقة والظلم، ونحو ذلك، وجب استرضاء صاحب الحق، برد حقه إليه، أو تمكينه من إقامة حد، ونحو ذلك.

وتوبة الإنسان تتفاوت بتفاوت رتبته، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

فالعامي يتوب من المعاصي، والذاكر يتوب من الغفلة عن الذكر، والعابد يتوب من التقصير في العبادة، والمترقي في رتب الكمال توبته في كل رتبة عن غفلته عنها في الرتبة التي قبلها، و من هذا الباب يعد استغفار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكــن على آلائِهِ شكــورا	**وكن عـلى بلائـه صـبـورا**
وكل أمرٍ بالقضاء والقدرْ	**وكل مقدور فما عنه مفر**
فكُنْ له مُسَلَماً كَيْ تَسْلَما	**واتبع سبيل الناسكين العُلما**

الشكر هو صرف العبد ما أنعم الله تعالى به عليه فيما يرضيه، فشكره على فؤاده أن يعتقد فيه الفضل والمنة كلها لله تعالى، وشكره على لسانه أن يديم ذكره بالكلام المأمور به، من ذكر، وتعلم، وتعليم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ونحو ذلك، وشكره على جوارحه أن يجنبها المعاصي، ويصرفها إلى الطاعة، وهكذا في كل نعمة، ولا يبلغ هذه الرتبة إلا من اصطفاه الله تعالى لها، فقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ، ولكن المؤمن يسعى لينال من درجة الشكر ما استطاع.

وأما الصبر فهو درجات، فمنه الصبر عن المعصية، والصبر على العبادة، والصبر عن الإكثار من المباحات، من أكل، ونوم، وكلام مباح، ونحو ذلك، فالإكثار منها يؤدي لقسوة القلب، والوقوع في المعاصي.

والصبر على البلاء، من مرض، وفقر، و فقد لأحبة، ونحو ذلك.

فينبغي للمؤمن أن يستسلم لأوامر الله تعالى ونواهيه ويصبر عليها، و لقضاء الله تعالى وقدره، فلا يعترض على أمر اختاره له، فيسلم بذلك من هموم الدنيا، ولا يبقى في قلبه هم في غير رضا الله تعالى.

وخَلِصِ القلبَ من الأغيارِ	**بالجد والقيام في الأسحـار**
والفكر والذكرِ على الدوامِ	**مجتنبا لسائـــر الآثـام**
مـراقـبا لله في الأحـوالِ	**لـتـرتـقـي مـعـالـم الـكمال**

فإن زال هم الدنيا من قلبه، وصفا لله تعالى، تخلص القلب من الأكدار، وصار مستعدا لاستقبال الأنوار، فيسعى في تحصيلها بالجد في الطاعة بالقيام في الأسحار، والتعرض لرحمة الله تعالى فيها، وكثرة الذكر، والتفكر في نعم الله تعالى وأفعاله، مصاحبا لذلك اجتنابه للمعاصي، ومستشعرا مراقبة الله تعالى له في كل حال من أحواله.

وهذه درجات في الترقي، لا ينالها الإنسان بغير الجد والاجتهاد، وملازمة شيخ مصلح، أو أخ صالح يعين عليها.

وقل بِذُلٍّ ربِّ لا تـقـطـعـني عنك بقاطع ولا تحرمني
مِن سِرِّكَ الأبهى المُزيلِ للعَمَى واختم بخير يا رحيم الرحما

ومهما وصل الإنسان إلى الدرجات العليا، و جب ألا ينسى فضل الله تعالى عليه بهذا القرب، ويبقى في خوف من أن يزيل الله تعالى هذه النعمة عنه، فيبقى متذللا له، يطلب بافتقار وانكسار دوام وصله، وفيض أنواره.

والحـمـد لله على التّمامِ وأفضل الصلاة والسلام
على النبي الهاشميِّ الخاتَمِ وآلِهِ وصَحْبِهِ الأكارِمِ

تم بفضل الله تعالى شرح هذا الكتاب يوم الخميس
٣٠/صفر/١٤٣٢/هـ الموافق:٣/٢/٢٠١١/ م
فأسأل الله تعالى أن يتقبله، وينفع به كل من قرأه وأقرأه،
وأسأله تعالى أن يثبتنا على العقيدة السليمة من البدع والمخالفة
لأهل السنة والجماعة حتى نلقاه بها، ونجتمع مع جماعة المسلمين والأئمة المرضين،
على حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
غير مبدلين في ديننا ولا مغيرين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شفاء هيتو

جامعة الإمام الشافعي

شيآن جور - إندو نسيا

نظم الخريدة البهية

١ . يقول راجي رحمة القديرِ   أي أحمدُ المشهورُ بالدرديرِ
٢ . الحمد لله العليِّ الواحدِ   العالِمِ الفرْدِ الغنيِّ الماجدِ
٣ . وأفضل الصلاة والتسليمِ   على النبيِّ المصطفى الكريمِ
٤ . وآله وصَحْبِهِ الأَطْهار   لا سِيَّمَا رفيقُهُ في الغارِ
٥ . وهذه عقيدة سنية   سميتها الخريدة البهية
٦ . لطيفة صغيرة في الحجمِ   لكنها كبيرة في العلم
٧ . تكفيك علما إن ترد أن تكتفي   لأنها بزبدة الفن تفي
٨ . واللهَ أرجو في قبول العمل   والنفع منها ثم غفر الزلل
٩ . أقسام حكم العقل لا محالة   هي الوجوب ثم الاستحالة
١٠. ثم الجواز ثالث الأقسام   فافهم منحت لذة الأفهام
١١. وواجب شرعا على المكلف   معرفة الله العليِّ فاعرفِ
١٢. أي يعرف الواجب والمحالا   مع جائز في حقه تعالى
١٣. ومثل ذا في حق رسْلِ الله   عليهم تحية الإلهِ
١٤. فالواجب العقلي ما لم يقبلِ   الاِنتفا في ذاته فابتهلِ
١٥. والمستحيل كل ما لم يقبلِ   في ذاته الثبوتَ ضد الأولِ
١٦. وكل أمر قابل للانتفا   وللثبوت جائز بلا خفا
١٧. ثم اعلمنْ بأنَّ هذا العالما   أي ما سوى الله العليِّ العالِما
١٨. من غير شكٍّ حادثٌ مُفْتَقِرُ   لأنه قامَ بهِ التغيرُ
١٩. حدوثُه وجودُه بعد العدمْ   وضدُّه هو المسمَّى بالقِدَمْ

٢٠. فـاعلم بـأن الوصـف بـالوجود	مــن واجبــات الواحــد المعبــود
٢١. إذ ظــاهر بــأن كــل أثــرِ	يهــدي إلــى مــؤثر فــاعتبرِ
٢٢. وذي تســمى صــفة نفســية	ثــم تليهــا خمســة ســلبية
٢٣. وهي القِدَمْ بالذات فاعلم والبَقَا	قيامُــه بنَّفْسِــه نِلْــتَ التُّقَــى
٢٤. مخــالفٌ للغيــر وحدانيــة	فــي الــذات أو صــفاته العليَّــةْ
٢٥. والفعــلِ، فالتــأثيرُ لــيس إلا	للواحِــدِ القَهَّــار جــلَّ وعَــلا
٢٦. ومــن يقــل بــالطبعِ أو بالعلــة	فــذاك كفــر عنــد أهــل الملــة
٢٧. ومــن يقــل بــالقوة المودعــةِ	فــذاك بــدعي فــلا تلتفــتِ
٢٨. لـو لـم يكـن متصـفا بهـا لـزِمْ	حدوثــه وهــو محــال فاســتقم
٢٩. لأنــه يفضــي إلــى التسلســلِ	والــدورِ وهــو المســتحيل المنجلــي
٣٠. فهـو الجليـل والجميـل والـوليْ	والظــاهر القــدوس والــربُّ العلــيْ
٣١. منـزهٌ عـن الحـلولِ والجـهـة	والاتصــال الانفصــالِ والسّــفَهْ
٣٢. ثـم المعـاني سـبعة للرائـي	أي علمــه المحــيط بــالأشــياء
٣٣. حــيـاتــه وقـــدرة إرادة	وكـــل شـــيء كـــائن أراده
٣٤. وإن يـكـن بـضـدِّه قــد أمــرا	فالقصد غيـر الأمر فـاطرح المـرا
٣٥. فقــد علمــت أربعــا أقســاما	فــي الكائنــات فــاحفظ المقامــا
٣٦. كلامــه والســمع والإبصــارُ	فهــو الإلــه الفاعــل المختــارُ
٣٧. وواجـب تعليـق ذي الصـفات	حتمــا ودومــا مــا عــدا الحيــاة
٣٨. فـالعلم جزمـا والكـلام السـامي	تعلقـــا بســـائر الأقســـام
٣٩. وقـــدرةٌ إرادةٌ تعلّقـــا	بالممكنــات كلهــا أخــا التقــى
٤٠. واجـزم بـأن سـمعه والبصـرا	تعلقــا بكــل موجــود يــرى
٤١. وكلهــا قديمــة بالــذات	لأنهــا ليســت بغيــر الــذات

٤٢. ثـم الكـلام لـيس بـالحروف ... ولـيس بالترتيـب كالمـألوفِ
٤٣. ويسـتحيل ضـدُّ مـا تقـدما ... مـن الصـفات الشـامخات فاعلمـا
٤٤. لأنـه لـو لـم يكـن موصـوفا ... بهـا لكـان بالسـوى معروفـا
٤٥. وكـلُّ مـن قـام بـه سـواها ... فهـو الـذي فـي الفقـر قـد تنـاهى
٤٦. والواحـد المعبـود لا يفتقـر ... لغيـره جـلَّ الغَنِـيْ المُقْتَـدِرُ
٤٧. وجـائز فـي حقـه الإيجـاد ... والتـرك والإشـقاء والإسـعاد
٤٨. ومـن يقُـلْ فِعْـلُ الصـلاحِ وجَبـا ... علـى الإلـه قـد أسـاء الأدبـا
٤٩. واجـزم أَخِـيْ بِرُؤيـة الإلـهِ ... فـي جتـة الخلـد بـلا تنـاهي
٥٠. إذِ الوُقـوعُ جـائزٌ بالعقْـلِ ... وقـد أَتـى فيـهِ دليـلُ النَّقْـلِ
٥١. وَصِـفْ جميـعَ الرُّسْـلِ بالأمانـة ... والصـدق والتبليـغ والفطانـة
٥٢. ويسـتحيل ضـدها علـيهِمُ ... وجـائز كالأكـل فـي حقهـم
٥٣. إرسـالهم تفضُّـلٌ ورَحْمَـةْ ... للعـالَمينَ جَـلَّ مُـولِيْ النِّعْمَـةْ
٥٤. ويلـزم الإيمـان بالحسـابِ ... والحشـر والعقـاب والثـواب
٥٦. والنشـر والصـراط والميـزانِ ... والحـوض والنيـران والجنـان
٥٧. والجـنِّ والأمـلاك ثـم الأنبيـا ... والحـور والولـدان ثـم الأوليـا
٥٨. وكـل مـا جـاء مـن البشـيرِ ... مـن كـلِّ حكـمٍ صـار كالضـروري
٥٩. وينطـوي فـي كلمـة الإسـلامِ ... مـا قـد مضـى مـن سـائر الأحكـام
٦٠. فـأكْثِرَنْ مـن ذكرهـا بـالأدبِ ... ترقـى بهـذا الـذكر أعلـى الرتـب
٦١. وغَلـبِ الخـوفَ علـى الرجـاء ... وسـر لمـولاك بـلا تنـاء
٦٢. وجَـدِّدِ التَّوبـةَ لـلأوزارِ ... لا تيأسـن مـن رحمـة الغفـار
٦٣. وكـن علـى آلائِـهِ شـكورا ... وكـن علـى بلائـه صـبورا
٦٤. وكـل أمـرٍ بالقضـاء والقـدرْ ... وكـل مقـدور فمـا عنـه مفـر

٦٥. فكُــنْ لـــه مُسَــلَماً كَــيْ تَسْــلَما　　واتبـــع ســـبيل الناســـكين العلمـــا

٦٦. وخَلِّــصِ القلــبَ مــن الأغيــارِ　　بالجـــد والقيـــام فـــي الأســـحار

٦٧. والفكــر والــذكرِ علــى الــدوامِ　　مجتنبـــــا لســـــائر الآثـــــام

٦٨. مراقبـــا لله فـــي الأحـــوالِ　　لترتقـــــي معـــــالم الكمـــــال

٦٩. وقـــل بِـــذُلٍّ ربِّ لا تقطعنـــي　　عنـــك بقـــاطع ولا تحرمنـــي

٧٠. مِن سِرِّكَ الأبهى المُزيلِ للعَمَى　　واخـــتم بخيـــر يـــا رحـــيم الرحمـــا

٧١. والحمـــد لله علـــى التَّمـــامِ　　وأفضـــل الصـــلاة والســـلام

٧٢. علــى النبــي الهاشــميِّ الخــاتَمِ　　وآلِــــهِ وصَــــحْبِهِ الأَكــــارِمِ